مجلة أبحاث الإيمان

مجلة فصلية محكمة العدد السادس عشر ديسمبر ٢٠٠٤م

- الحشرات المذكورة في القرآن الكريم .
- اختلاف الفقهاء وأثره في اختلاف العاملين للإسلام
- ارتباط علم النحو بالعلوم الفقهية والشرعية
- مكة والمدينة والطليعة الباهرة .
- رعاية السنة النبوية لذوي الحاجات الخاصة
- أثر السحر في الاضطرابات النفسية
- دور الإعلام في رعاية المعاقين ذهنياً

تصدر عن المركز العالمي لأبحاث الإيمان

السودان - الخرطوم ، الرمز البريدي: ١١١١٤ ص.ب: ٤٤٧٩١ تلفاكس: ٢٤٩ ١٨٣ ٤٩٧٦٢٠+

أثر السحر في الاضطرابات النفسية

" قراءة في ثنايا النص النبوي "

د. أحمد المجتبى بانقا

الجامعة الإسلامية – ماليزيا

تصدر عن المركز العالمي لأبحاث الإيمان

الخرطوم – السودان ، الرمز البريدي ١١١١٤ ، ص.ب ٤٤٧٩١ ، تلفون ٢٤٩١٨٣٤٧٢٠٨٨+ فاكس : ٢٤٩١٨٣٤٩٧٦٢٠+

ملخص البحث[1] :

تتبلور حيثيات البحث في أنه ضِمْنَ منظور القوانين الكونية التي تعبر على حتمية الصراع بين الخير والشر قال الله تعالى : { **وَنَبْلُوكُمْ بِالشرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** } [الأنبياء : ٣٥]. ولعل في هذه حكم بليغة تتجلى في أمرين هما : **سنة الابتلاء ، وسنة البلاء** ، لتترتب على ذلك نتيجة التمحيص والعقاب.

وهذه الدراسة مناقشة تدور حول ظاهرة السحر ، من حيث التأصيل لمنهجية إثبات النصوص الواردة في الموضوع محور الدراسة ، ومن ثم الاعتبار بالواقع المشاهد لهذه الظاهرة ليصبح دعما لإثباتات النصوص ودلالاتها المنشودة ، سيما وأن موضوع السحر من حيث الواقع والتأثير ما زال الجدل فيه واسعاً بين الإثبات النصي والواقع الملموس. وإن كان مدار الخلاف في ظني ناتجا عن تطويع المعاني اللغوية أكثر منه كخلافات علمية تنهض بمعالجة جوهر الموضوع.

إن واقع الصراع مع أفتك الأمراض المتجددة ، وهي السحر وما يتصل به من الأمراض الروحية[2] يكمن في تشخيص الآثار الحسية والمعنوية الناتجة.فإن كان الجسد موضع ترشيح للإصابة بالمرض ، فكذلك مراكز الشعور[3] في النفس البشرية هي أيضا عرضة للترشيحات المرضية التي تفوق في خطرها الإصابات الجسدية الحسية ، بما يترتب على ذلك من آثار نفسية كفيلة بتدمير وظائف الإنسان تدميرا قد يعجل بالمنية الحقيقية ، أو يؤدي لانتكاسة يكون المصاب بعدها عاجزا عن ممارسة دوره في الحياة الطبيعية بشقيها الروحية والجسدية.

وَجَمَعَتْ مادة هذا البحث بين الحقائق العلمية المثبتة بالكتاب والسنة ومواقف علماء المسلمين ، وبين نتائج الدراسات النفسية المتعلقة باضطراب السلوك في معالجة حيثيات الموضوع. وتعرضت الدراسة لتحليل المجتمع لتلك الظاهرة مع بيان الفهم السليم المستنبط من الأدلة الشرعية المنصوصة ، وحُدِّد فيه الأسباب التي تساعد على ظهوره ونمائه وانتشاره ، وعرض البحث أنموذجاً مقتبسا من النصوص الحديثية ذات المعنى المقصود في آثار التربية النفسية باعتباره إسهاما إسلاميا جمع بين التجربة الفعلية وبين المعجزة الإلهية للنبي ﷺ وبهذا المفهوم يتحدد دور الحديث النبوي القولي والفعلي والتقريري بل ووصفه الخَلقِي والخلقي[4] في معالجة هذه المعضلة التي تتسم بازدواجية التأثير على النفس والجسد ، لا سيما في هذا العصر الذي صار الاهتمام فيه مائلا للتركيز على دراسات النفس ، بعد إثباتات التكنولوجية العصرية[5] وتقدمها شوطا معتبرا في تشخيص الاضطرابات

النفسية ، فمثلا : أثبتت الجراحات الحديثة للمخ وظائف أجزائه المختلفة ، وتأثير تلك الوظائف على واقع السلوك البشري سلبا وإيجابا. وبالرغم من التقدم المعتبر في ربط اضطرابات النفس بعلم وظائف الأعضاء – أعني أثر هذا الربط في إيجاد حلول لكثير من معضلات الاضطراب النفسي –فقد أهمل الجانب الروحي كمؤثر على اضطراب النفس ، ويعتبرون أن إقحام جانب الدين في أبحاث النفس جانبا من التحيز يفتقر للموضوعية.[٦] مع أن القرآن الكريم والحديث الشريف قد أثبتا أن للسحر ومتعلقاته إسهاما كبيرا في هدم السلوك البشري ، ألم تر إلى وصف القرآن لدور السحرة وإعمالهم في نفوس الخلق مرة يقول {... **وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**... } [البقرة : ١٠٢] ، ومرة {... **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ**..} [طه : ٦٩]. فالضرر والكيد ، الموصوفَيْنِ في القرآن الكريم آثارُهما النفسية لا تخفى على أحد. وهذه اللطيفة تبرز بوضوح الفرقَ بين مقدرات الله تعالى في رسم الأسس الكفيلة بوصف السلوك البشري السوي وغير السوي ، وبين مقدرات البشر التي تُبْنَى أكثرها على افتراضات ونظريات قابلة للخطأ والصواب.ولعل القصور البشري حجب علماء النفس – مع أن جهدهم مقدر – عن كشف هذا الجانب كمؤثر له وزن في اضطراب السلوك. وبالاستقراء في مؤلفات علم النفس وبالذات الصحة النفسية يتضح أن ألفاظ علماء النفس في وصف الاضطراب السلوكي بالاكتئاب ، ...الخ. ناتج عن دراساتهم في المسببات. عليه فإن دراساتهم لمسببات تلك الاضطرابات دراسات تبنى على تنبآت واستنباطات من دراسة الملامح والملابسات الخاصة بالشخصية غير سوية السلوك.

ولعل لله تعالى حكمة مطلقة في ذلك فمنهجه تعالى غير قابل للمقارنة لعلمه المسبق بمسببات الاضطرابات السلوكية قبل وقوعها ، لذلك كان القرآن الكريم ، والدعاء المأثور ، والالتجاء الصادق لله تعالى ، هو التشخيص الحقيقي ، وهو العلاج الناجع لهذه الأمراض – أعني أعراض الاضطراب الناتجة عن السحر – في آن واحد ، قال ﷺ : " **إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله** ".[٧]

ولا تضارب بين مفهوم علم النفس وبين المنظور الإسلامي في تشخيص وعلاج الاضطراب النفسي ككل ، فإذا كان الاضطراب ناتج عن قصور عضوي فحديث النبي يرشد بالاستفادة من الطب ، وإن كان ناتجا عن فعل السحرة والمشعوذين فهنا يدلنا على

الاستفادة من الوصفة الإسلامية في نصوص القرآن والحديث. وفي كلا الحالتين فالمنظور الإسلامي يعتبر أن تلك الاضطرابات بكافة أسبابها ومسبباتها فهي إما بلاء وإما ابتلاء والعبد مأجور على ذلك لا محالة والحمد لله رب العالمين.

ومن هذه المنطلقات التحليلية السالفة الذكر فإن محور الدراسة يدور حول الموضوعات التالية : التعريف بظاهرة السحر وأنواعه ، الدلالات النصية لظاهرة السحر ، واقعية السحر وتأثيره ، التعامل مع السحر تشخيصا وعلاجا.

توطئة :

يعتبر اضطراب السلوك من أولويات القضايا الاجتماعية التي أصبحت هاجسا وعبئاً اجتماعيا تشخيصا وعلاجا ، لذا أولته مصادر المرجعية التشريعية المتمثلة في القرآن والسنة وضعا مميزا. فالقرآن الكريم والسنة النبوية قد عنيتا مباشرة بمخاطبة السلوك البشري بشكل عام ، ومخاطبة الاضطرابات السلوكية بتبيين أسبابها وأضرارها على الفرد والمجتمع.

ويعتبر السحر من أعظم الأعراض المؤثرة في اضطرب السلوك معنويا وحسيا ، لذلك أخذ في النصوص القرآنية والحديثية حيزا في مواضع عديدة فحصا وعلاجا. وورد كظاهرة اجتماعية أدت لخلط المعايير المعرفية لدى بعض المجتمعات[٨] ، مما ترتب على ذلك إرجاع كثير من خوارق العادة البشرية للأعمال السحرية ، قال الله تعالى : { **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ** } [الزخرف : ٤٩]. وعليه فأصبحت تلك المجتمعات عاجزة في كثير من الأحايين عن التفريق بين ظاهرة السحر ، وبين المعجزات الرسالية ، بل والمبشرات الولائية.

أما في العصر الحديث فإن التقدم العلمي في دراسات علم النفس في التنظير والتطبيق قطع شوطا بعيدا وذلك بجهود مدرسة الفلسفة اليونانية التي يمثلها سقراط ، وأفلاطون ، وآرسطو[٩] ، وهذه المدرسة هي صاحبة الابتكار لمفهوم النفس في وصف الجوانب أللابدنية من السلوك البشري الذي صار بموجبه علم النفس علما شموليا ، له ارتباطات وثيقة بكل العلوم التي عنيت بدراسة الكائنات البشرية وغيرها لا سيما العلوم التطبيقية " **علم وظائف الأعضاء – الفسيولوجي** – ، **والطب التجريبي** ". وعلى سبيل المثال : إن علم النفس الإكلينيكي عني بتطبيقات علم النفس الأكاديمي في مجال

اضطرابات السلوك تشخيصا وعلاجا ، حيث أصبح يشمل في تخصصه موضوعات : " **العلاج النفسي ، العلاج الجمعي ، التشخيص ، التوجيه ، التخلف العقلي ، اضطرابات اللغة ، الصحة النفسية** ".

وبشكل عام فقد ساعدت المرحلة الفسيولوجية من تأريخ علم النفس على زيادة رصيده من المعرفة الطبيعية البيولوجية للإنسان ، وبالعلاقات الوثيقة بين العمليات العضوية والعقلية ، والتفاعل بين الجسم والنفس ، ومن ثم صار علم النفس يأخذ حيز الخصخصة والذاتية ، والاستقلال منهجا وموضوعا ، وفي هذه المرحلة تباينت معتقدات علماء النفس ، وبالتالي تنوعت الوسائل ، فكانت النتيجة كثرة الاتجاهات والمدارس النظرية. لكن كل ذلك محكوم بتحقيق هدف واحد متفق عليه ألا وهو **كشف جوانب الغموض في السلوك الإنساني**.وأدى هذا التطور العصري في دراسات النفس لخلط المفاهيم المعرفية لدى المجتمعات بين ظاهرة السحر ، والوهم ، والخرافة.(١٠)

إذاً كلما تطورت نظريات الدّراسات الكونية كلما زاد اليقين التجريبي بتلك الأدلة الربانية والأدلة المصطفيّة التي وضعت ذلك القانون قبل أربعة عشر قرنا. وقد قيل ليس الخبر كالمعاينة إن تلك الأدلة القرآنية والحديثية لم تقف عند حد الإثباتات النصية بل وضعت القواعد لقانون الكون عامة.هذا القانون الذي يفصل لنا القول بحقيقة الأضرار السحرية ومتعلقاتها بالمجتمعات البشرية ، وإثبات قانون أسبابها ومسبباتها ، بل والأعراض والنتائج. حماية للمجتمعات البشرية من أخطار السحر ومتعلقاته ، باتباع القانون الإلهي الذي ثبت بالدليل والتجربة! أما الدليل فالقرآن بينه في أكثر من موضع ، وأما التجربة فشاءت إرادة الله تعالى أن تُجْرَى على أفضل مخلوق وهو محمد ﷺ حتى يتسنى لأتباعه التعامل السليم مع هذا الوباء عبر الزمان والمكان ولله الحمد والمنة.

ولكن حتى في ظل تلك الإثباتات النصية ، والتجريبية ، والاستفادة المعرفية من التقدم العلمي في دراسات الاضطرابات السلوكية. فإن بعض الفئات ما فتئت تنكر السحر كظاهرة حقيقية مؤثرة على السلوك والإحساس.وكان مندوحتهم في ذلك أن موضوع السحر ثبت بالأدلة الظنية(١١) أي أحاديث الآحاد وهي بعيدة كل البعد – كما يرون– عن القيام بتشريع يبت في واقعية السحر ، واعتمدوا على تفسير ظاهر النص القرآني عند قوله تعالى : {... **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** } [طـه : ٦٦]. بأنها لا تسعى في الحقيقة....الخ.

إضافة لذلك فإن أصحاب التجربة – المعنيين بدراسة علم النفس – لا يؤمنون بآثار السحر في اضطراب السلوك ، لأن علمهم قائم على التجربة المحسوسة ، بينما أسباب السحر أسباب معنوية عبارة عن تعاويذ وعزائم على شكل اتفاق بين أرواح شيطانية ، وإنما تظهر أعراضها في اضطرابات النفس أحيانا ، وهو تتشابه مع أعراض التفسيرات لدى علماء النفس وبالذات بعد بروز علم الباراسايكولوجي ، وعلم الصحة النفسية الخ.

وبما أن السحر جذوره قديمة إلا أن قلة ثقافة المجتمع بأبعاد الموضوع جعلته يتخبط خبط عشواء في إيكال كل ظاهرة نفسية للأعراض السحرية ، وفي أغلب الأحايين أن ظواهر هذه الأعراض ناتج عن اضطرابات نفسية ، ناتجة عن خلل وظيفي للأعضاء – كالغدد الصماء وخلايا المخ – مع التسليم التام بأن بعضها ناتج عن عملية سحرية أو ما يتعلق بذلك. وهذا ما وقع فيه الخلط بين المعنيين بعلم النفس ، وبين الفئات الاجتماعية العامية التي لا ترى في كل ظاهرة اضطراب نفسي إلا ومن خلفها عملية سحرية.

المبحث الأول : المفهوم المعرفي للسحر :

لقد تطور المفهوم المعرفي في الدراسات النفسية ومتعلقاتها السلوكية وباتت تُرْجِعُ كثيراً من ظواهر السلوك غير السوي إلى نتائج إفرازات هرمونية ناتجة عن الغدد الصماء أو غير ذلك. فإن هذا التطور في التشخيص للدراسات النفسية أدّى لخلط المعايير في منهجية التعريف بظاهرة الأمراض السحرية.

كما أن ظاهرة السحر لها من الاستعمالات اللفظية التي بموجبها تُبْعِدُ أوجه الاتفاق في تحديد مفهوم السحر تحديدا جامعا مانعا. حيث أن تشابك الموضوع ومداخلاته لغيره. جعلت من الصعب حصر المفهوم السحري في بوتقة خاصة من دون بيان أوجه التشابه لتفسير بعض الأعراض السلوكية غير السوية..

ومما يزيد الأمر تعقيدا وغموضا التفسيرات الباراسايكولوجية[١٢] للخوارق الطبيعية ، وأصبح من الهوس إيكال كل سلوك غير سوي وإرجاعه لكونه ظاهرة سحرية وإن اتفقت الأعراض الناتجة عن الاضطرابات النفسية أو الناتجة عن أعمال سحرية. وبالوقوف على المنهجية العلمية في التعريف بظاهرة السحر تتبين الآراء في التعريف بهذه الظاهرة ، التي بدورها أدت لتباين الآراء في التسليم بحقيقة السحر وتأثيره. حيث

أن وجه التباين في مفهوم السحر قاد بدوره لأوجه التباين التي عنيت بمعالجة الموضوع من جميع مناحيه.

إن تشابك الموضوع ومداخلاته جعل التعريف بالسحر كظاهرة له أكثر من لفظ ومعنى ودلالة في اللغة ، ولكن لا يسع البحث التعرض إلا لأكثر هذه الألفاظ بروزا واستعمالاً.

منها : الأُخْذَةُ : وهي تأْخُذُ العينَ حتى يُظَنَّ أَن الأَمْرَ كما يُرَى وليس الأَصل على ما يُرى.

وجاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها جاءتها امرأة فقالت : " **أُوخَّذ جملي ؟** - **مجازا وإنما أرادت زوجها - فلم تفطن لها حتى فُطِّنت ، فأمرت بإخراجها** ".[١٣] أي تحتال على زوجها بحيل من السحر تمنعه بها عن جماع غيرها من النساء.[١٤]

المخادعة : وكل ما لطف مأخذه ودق ، وسحره خدعه. والسحر : قلب الشيء في عين الإنسان ، وليس قلب الأعيان.

الصرف : السحر صرف الشيء عن حقيقته ، والعرب تطلق لفظ السحر على الصرف تقول ما سحرك عن كذا أي ما صرفك. ويطلق على البيان في فِطْنَةٍ ، إن قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ والزِّبْرِقَانَ بنَ بَدْر وَعَمْرَو بنَ الأَهْتَمِ قدموا على النبي ﷺ فسأل النبيُّ ﷺ عَمْراً عن الزِّبْرِقَان فأثنى عليه خيراً فلم يرض الزبرقانُ بذلك وَقَال : واللَّه يا رسول اللَّه إنه ليعلم أنني أفضل مما قال ولكنه حَسَدَ مكاني منك ؛ فأَثْنَى عليه عَمْرٌو شراً ثم قال : واللَّه ما كذبت عليه في الأُولى ولا في الآخرة ولكنه أرضاني فقلتُ بالرِّضا ثم أَسْخَطَنِي فقلتُ بالسَّخَطِ ، فقال رسول اللَّه ﷺ : " **إن من البيان لَسِحْراً** "[١٥] كأَنَّ المعنى واللَّه أَعلم أَنه يَبْلُغُ من ثنائه أَنه يَمْدَحُ الإِنسانَ فَيَصْدُقُ فيه حتى يصْرِفَ القلوبَ إلى قوله ، ثم يَذُمُّهُ فَيَصْدُق فيه حتى يَصْرِف القلوبَ إلى قوله الآخر. فكأَنه قد سَحَرَ السامعين بذلك؛ وقال ابن الأَثير يعني إن من البيانَ لسحراً أَي منه ما يصرف قلوب السامعين وإن كان غير حق ، لأَنه تُسْتَمالُ به القلوبُ ويَرْضَى به الساخطُ ويُسْتَنْزَلُ به الصَّعْبُ.. وهذا البيان ليس مقصوداً في هذا الموضع وإنما جاء لالتباس اللفظ بالصرف الحقيقي ومُثِّلَ بالبيان لأثره في تحويل القول عن وجهه الحقيقي.

الطب : وهو على ضربين.إحداهما : مما يستعمل فيه الحنق والمهارة. والأخر : يقال للمسحور مطبوب على سبيل التفاؤل.(١٦) وعن ابن عمر أنه أتى الطائف فإذا هو يرى التيوس تلب أوتنب على الغنم خافجة كثيرا ، فقال لمولى لعمرو بن العاص يقال له هرمز : " **يا هرمز ما شأن ما ها هنا ؟ ألم أكن أعلم أن السباع هنا كثيرة ؟ قال : نعم ولكنها عقدت**(١٧) **، فهي تخالط البهائم ولا تهيجها ، فقال : شعب صغير من شعب كبير** "(١٨) ، قيل هي كلمة تشمل الصنم والساحر والكاهن.(١٩)

وعلى كلٍّ فالسحر هو إخراج الباطل في صورة الحق.

العِضَّة : هي في الأصل " **عضَهَة** "(٢٠) ، والعِضَهُ : السِّحْرُ والكَهانةُ.والعاضِهُ : الساحرُ ، وسُمِّيَ السحرُ عِضَهاً لأَنه كذبٌ وتَخْيِيلٌ لا حقيقةَ له. والعَضْهُ السِّحْر ، بلغة قريش ، وهم يقولون للساحر عاضِهٌ. و عَضَهَ الرجلَ يعْضَهُه عَضْهاً : بَهَتَه ورماه بالبُهْتان. وحَيَّةٌ عاضِهٌ و عاضِهةٌ : تقْتُل من ساعتها إِذا نَهَشَتْ. وقال الفراء : العِضُون في كلاَم العرب السِّحْرُ.(٢١)

التُّوَلة : الداهية ، و التُّوَلة و التِّوَلة : ضَرْب من الخَرَز يوضع للسِّحْر فَتُحَبَّب بها المرأَةُ إلى زوجها ، عن ابن مسعود : " **التِّوَلة والتَّمائم والرُّقَى من الشِّرْك** "(٢٢) أَراد بالتَّمائم والرُّقَى ما كان بغير لسان العربية مما لا يُدْرَى ما هو ، وجعله ابن مسعود من الشِّرْك لاعتقادهم أَن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما يُقَدِّرُه اللَّه تعالى.(٢٣)

وعلى هذا التباين اللغوي للسحر يظهر في تعريج الدراسة الاصطلاحية أوجه التباين التي بموجبها تتبلور حيثيات الدراسة في بيان الحقيقة التأثيرية للسحر ، ومن ثم كيفية التعامل مع هذه الظاهرة المرضية التي لا يمكن تصويرها في بوتقة تعريفية بعينها.

فهو عند الاصطلاحيين : علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية ، يقتدر بها على أفعال غريبة ، بأشياء خفية.وبالوقوف على أبرز الأقوال يتبين حقيقة الاختلاف.

حيث عرفه صاحب كشف الظنون قال : " **ما خفي سببه ، وصعب استنباطه لأكثر العقول ، وحقيقته كل ما سحر العقول ، وانقادت إليه النفوس بخدعة وتعجب واستحسان ، فتميل إلى إصغاء الأقوال والأفعال الصادرة عن الساحر** "(٢٤)

وهو عند ابن قدامة : " **السحر هو عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يكتبه ، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور وقلبه أو عقله ، من غير مباشرة له ، وله حقيقة فمنه ما**

يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ، وما يبغّض أحدهما إلى الآخر أو يحبب يبن اثنين "[٢٥].

وبالتأمل في المعاني اللغوية والاصطلاحية للسحر تتبين بوضوح آثار الاضطرابات النفسية لما يحدثه هذا السحر من إشكالية اجتماعية تؤدي بدورها لتفكك أسري أو إحداث حالة من الكآبة والهستيريا ، والقلق ، والصرع وغيرها من الاضطرابات الناتجة عن خوف من مجهول تتباين التوقعات في تحديده كسبب مباشر لهذه الاضطرابات. وقول ابن قدامة – أعني تعريفه للسحر بأنه يؤثر على عقله وقلبه وبدنه وهذه التأثيرات تؤدي لأعراض محسوسة فمنه ما يمرض ، أو يؤثر على العضو التناسلي للزوج ، أو ما يثير الخلافات بين الزوجين وفي خاتمة المطاف التفريق بين المرء وزوجه – من الوضوح لما يحدثه السحر من اضطراب نفسي ، فمن نافلة القول أن ربط المنظور الإسلامي كباحث في قضايا النفس يؤدي لدور تكاملي ومن ثم إغلاق حلقة من الفراغ لكثير من التفسيرات التي ليس لها إجابة بينة.

ولعلنا بالوقوف على الوجهة الإسلامية لتحديد الأفعال السحرية وطرق ممارستها يتبين استقراءً أن من أولويات هذه الأفعال هو إحداث اضطراب نفسي ومن ثم الوصول لتكوين شخصية انهزامية مستسلمة لكثير من الخيالات والخرافات التي تؤدي بدورها لتعطيل دور تلك الشخصية في محيط مجتمعها.ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في التعريف بأنواعه حيث أدخلوا كثيرا من التصرفات السلوكية غير السوية في مجموعة الأفعال السحرية ، كما اختلفوا في حده اختلافا متباينا وذلك بحسب مقصوده وتأثيره.

نقل الحافظ[٣٦] عن الراغب وغيره أن السحر يطلق على معان ، وهذه المعاني التي ذكرها مضمونها بيان لأنواع السحر ، والقول في أنواعها كثير فذكّر القنوجي : " **أن طريقة الهند بتصفية النفس ، وطريقة النبط بعمل العزائم في بعض الأوقات المناسبة ، وطريقة اليونان بتسخير روحانية الأفلاك والكواكب ، وطريقة العبرانيين والقبط والعرب بذكر بعض الأسماء المجهولة المعاني ...** "[٣٧].

وعدد الفخر الرازي ثمانية أنواع للسحر ، أدخل أنواعا في الحقيقة لا تعتبر سحرا حقيقيا وربما تدخل في المعنى اللغوي للفظ السحر ، وهي كالنميمة و النسب الهندسية ، والاستعانة بخواص الأدوية.وحتى لا يكون البحث عبارة عن كراء ونقل لنصوص هي معلومة فإنني أقف على تحليل أكثر الأنواع وضوحا ولصوقا بالدراسة.

النوع الأول : قال فيه - الإمام الرازي - ما لطف ودق ، ومنه سحرت الصبي خادعته واستملته ، وكل من استمال شيئا فقد سحره ، ومنه إطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس. ومنه أيضا قولك طبيعة ساحرة ، وقال الله تعالى : {... **بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ** } [الحجر : ١٥] أي مصروفون عن المعرفة.(٢٨)

النوع الثاني : ما يقع بخداع وتخيلات لا حقيقة لها ، نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده وإليه أشار القرآن : {... **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** } [طـه : ٦٦]. وهذا غالبا ما يؤثر على البصر أكثر من غيره ، لأن البصر قد يخطئ ويشتغل بأشياء أخرى مما يجعل تركيزه مع الساحر قليلا إن لم يكن معدوما.

وهنالك عوامل طبيعية واصطناعية تساعد على إنجاح هذا النوع من السحر. وقيل هذا الذي كان من سحرة فرعون بدليل الآية السابقة ، وأغلب الظن أن هذا النوع صُنِّفَ من ضمن أنواع السحر وذلك للتأثير النفسي على المسحور(٢٩) ، فإن البصر بريد القلب ، والقلب موضع المشاعر والعواطف ، فَيُذْهَلُ العقل من هذه الخوارق ، فيحصل الإيهام والانخداع.(٣٠)

النوع الثالث : ما يحصل بمعونة من الشياطين والجن ، بضرب من التقرب إليهم ، وهو المسمى بالعزائم والتسخير ، ويحصل بالدخن ، والرقى ، والتجريد قال الله تعالى : {... **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...** } [البقرة : ١٠٢].(٣١)

سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول الله ﷺ : " **ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة** ".(٣٢)

وهذه النصوص تبين أن للجن في إتمام الأفعال السحرية دورا محوريا وهذا كان مشاعا معروفا عند العرب حيث كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب :

أحدها : يكون للإنسان ولى من الجن يخبره بما يسترقه من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث الله محمد ﷺ.

الثاني : أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين.

الثالث : المنجمون وهذا الضرب جعل الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما ، لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عرّاف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفته بها ، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم والله أعلم.(٣٣)

وما فعله لبيد بن الأعصم بالنبي ﷺ حيث كان يعقد شعرة وينفث فيها ويقرأ عليها من التمائم إلى أن أتم إحدى عشرة عقدة قال الله تعالى { **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** } [الفلق : ٤].(٣٤)

النوع الرابع : ما يحصل بمخاطبة الكواكب ، واستنزال روحانياتها بزعمهم(٣٥) ، وهذا الذي يسمى بسحر الكذابين والكشتانيين ، أو الكلدانيين والبابليين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة.(٣٦)

وهكذا اتضحت النظرة الإسلامية في تبيان الاضطراب النفسي من جراء آثار السحر فكل العمليات السحرية مبنية على الضرر بأعلى مستوياته ولا شك أن الضرر كما سبق يؤدي إلى خلل وظيفي عضوي ، يؤدي بدوره لأعلى مستويات الاضطراب النفسي ، ولكن حتى لا توصف الدراسة بعدم الحياد ، أو الادعاء بإقحامها في غير مجالها لا يمكن أن نعزو كل اضطراب نفسي للسحر بل نجد أن كثيرا من الشباب يكون على استقامة من أمر دينه قد يصاب باضطراب نفسي ناتج عن خلل وظيفي وليس خواء روحياً.(٣٧)

المبحث الثاني : الدلالات النصية لظاهرة السحر" واقعية السحر وأثره النفسي"

قدم القنوجي استطرادا منسقا لتاريخ السحر وتآليفه.وكتب تعريفا جيدا عن حقيقة السحر يمكننا الاهتداء به كفاتحة للدخول في حيثيات هذا المبحث يقول : " **ولنقدم هنا مقدمة يتبين بها حقيقة السحر وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص ، وهي أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في الصنف الآخر ، وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها· فنفوس الأنبياء عليهم السلام لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى** " فأما تأثير الأنبياء فمدد إلهي وخاصية ربانية. ونفوس الكهنة لها خاصية

الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية هكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر. والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث.

فأولها : المؤثرة بالهمة فقط : وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر.

الثاني : بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول.

والثالث : تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكات وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحسّ من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه. فنظر الراءون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك ، كما يحكي عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة.ويعتمد هذا الفعل على الرياضة ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل. فلهذا كان السحر كفرا والكفر من مواده وأسبابه.ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله أو لتصرفه بالإفساد وما ينشأ عنه من الفساد في الأكوان والكل حاصل منه. ولما كانت المرتبتان الأوليان من السحر لهما حقيقة في الخارج والمرتبة الأخيرة الثالثة لا حقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو إنما هو تخييل. فالقائلون بأن له حقيقة نظروا إلى المرتبتين الأوليين ، والقائلون بأن لا حقيقة له نظروا إلى المرتبة الثالثة الأخيرة. فليس بينهم اختلاف في نفس الأمر بل إنما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم.(٣٨)

والسحر حقيقة بنص القرآن الكريم قال الله تعالى : {... **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآرِّيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ الاَّ بِإِذْنِ اللهِ** } [البقرة : ١٠٢]. وأبرز ما يعبر عن واقعية السحر وتأثيره ما أصاب النبي ﷺ ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال : " **يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه· أتاني رجلان**

فقعد أحدهما ثم رأسي والآخر ثم رجلي فقال الذي ثم رأسي للآخر ما بال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقا قال : وفيم قال : في مشط ومشاقة قال : وأين قال : في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان قالت : فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال : هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين قال : فاستخرج قالت : فقلت أفلا أي تنشرت ؟ فقال : أما والله فقد شفاني الله وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا "[٣٩] فأنزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها : فكان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها إلا انحلت.[٤٠]

ولكن بالرغم من تلك الأدلة الصريحة الصحيحة التي أثبتت حقيقة السحر وتأثيره فإن بعض الآراء كانت ترى غير ذلك متمسكة بقوله تعالى {... **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** } بل وقالوا بأن حديث سحر النبي ﷺ ظني ، ويخالف العقل حيث أن القول بأنه ﷺ تأثر بالسحر يؤدي للطعن في الرسالة التي بعث بها وذلك للعلل التي تصيب المسحور. وهذه الأقوال أجملها القرطبي في هذا المقطع ، حيث قال : " **واختلف هل له حقيقة أم لا ؟** " فذكر الغزنوي الحنفي : أن السحر عند المعتزلة خدع لا أصل له ، وعند الشافعي وسوسة وأمراض. قال : وعندنا أصله طلسم يبني على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس في زئبق عصى فرعون ، أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عسر. قلت " **الكلام للقرطبي** " : وعندنا إنه حق وله حقيقة. ثم من السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة[٤١] ، ومنه ما يكون كلاما يحفظ ورقى من أسماء الله تعالى ، وقد يكون من عهود الشياطين ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك.[٤٢]

ونسبة لاتساع دائرة الخلاف ، وبعد الهوة بين طرفي النقيض في حيثيات أبحاث السحر. فإن مساحة البحث تميل لمناقشة أكثر القضايا بروزا في موضوع الدراسة لطبيعة الأعمال البحثية التي تكون مقيدة بورقات معدودة ، وعلى هذا فسوف أتعرض لتفصيلات العلماء في حقيقة السحر وتباين آرائهم بصورة مغتضبة - من أجل الوصول إلى معرفة مقدار التأثير الذي يحدثه السحر في الاضطراب النفسي - ولعل بعد هذا الاستطراد أفضي إلى تلخيص الآراء في جدلية الحقيقة والخيال في السحر ، التي تمخضت عن توسع الفهم للنصوص الشرعية ، ونتجت عن ذلك آراء تقف في مفترق الطرق ولعل هذا التلخيص خير إجابة عن هذه المواقف.

فالرأي الأول : أن السحر خيالات لا حقيقة له ، وينسب هذا القول للمعتزلة وكفروا من اعتقد بحقيقته ، وأبي بكر الرازي من الحنفية ، وابن حزم الظاهري ، واستدلوا بقوله تعالى {... **يُخَيَّلُ إِلَيْه منْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** }. ولعل أبرز من رد على هذا الرأي الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال : " **لا حجة لهم في هذه الآية لأنها تتحدث عن نوع واحد من أنواع السحر وهو سحرة فرعون ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل** " ، وقال المازري : جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة ، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلا خيالات باطلة وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر. ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة ، ثم نطق الساحر بكلام ملفق ، أو تركيب أجسام ، أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده بالتركيب نافعا[٤٣]

الرأي الثاني : أن للسحر تأثيرا وقال النووي هذا القول هو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة.

لكن الخلاف وقع بين أصحاب هذا الرأي في مقدار التأثير الناتج من عمل السحر. هل يقع بالسحر انقلاب عين أم لا ؟

القول الأول : وهو الذي عليه الجمهور أن للسحر تأثيراً فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من أنواع الأمراض. ولا يزيد على ذلك بجعل الجماد حيواناً مثلا ، وقالوا لا يزيد فيما ذكر الله تعالى {... **يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**... } ، وعن القرطبي : " **السحر حيل صناعية غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس ، ومادته الوقوف على خواص الأشياء ، والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته ، وأكثره تخييلات بغير حقيقة ، وإيهامات بغير ثبوت فيعظم على من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون : { وَجَآءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ } [الأعراف : ١١٦] مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا ثم قال : والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرا في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر ، وفي الأبدان بالألم والسقم ، وإنما المنكور أن الجماد ينقلب حيوانا أو عكسه بسحر الساحر ونحو ذلك** " ويستنبط من قول القرطبي مدى الأثر النفسي الذي يحدثه السحر فالبغض والشر والسقم والألم هذه أنواع من الأمراض في غالبها ذات طابع لشخصية غير متكيفة مع محيطها أي شخصية مضطربة نفسيا.

القول الثاني : وذهبت طائفة قليلة إلى أن للسحر تأثيرا يصل إلى قلب الأعيان قال الحافظ ابن حجر : " **ما قالته هذه الطائفة إن كان بالنظر للقدرة الإلهية فمسلم ، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف ، فإن كثيرا ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه** "(٤٤).

والأوفق أن ذلك إذا كان في مقدور الله تعالى فجائز الوقوع ، لكن حقيقته متعذرة ، أما الآية : { **يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** } فهي لم تمنع الزيادة وإنما ذكر التفريق للتهويل ، الذي ينتج من فعل السحر.فذكر التفريق هنا ليس القصد منه غاية التأثير الذي يحدثه السحر.(٤٥)

والتحليل الذي أراه بعد هذه الدراسة في السحر من حيث الواقع والتأثير ، أن في هذا الوقت المعاصر نشأت مدرسة تتبنى الآراء الاعتزالية وتقول بالرفض الكلي لظاهرة السحر وادعوا أن الشيطان أكثر ما يستطيع فعله هو الوسوسة ولعلهم في قولهم هذا أرادوا سد باب السحر الذي أصبح ظاهرة اجتماعية تكاد تكون المسؤولة الأولى عن التخلف في المجتمعات المسلمة.ولكن هذه المعالجة تعتبر غير مقنعة فالمجتمع مصاب وربما يشعر بآلام الوهم أو السحر الحقيقي فالقول بالرفض غير المبرر أبعد من الأسلوب العلمي إلى القمع الفكري.فالفطرة هي التي تثبت ظاهرة السحر والأدلة النقلية والعقلية. ولكن نسبة لاختلافات العلماء وضعف التربية والثقافة الإسلامية ، وجد المجتمع نفسه بعيدا وتوسع أكثر مما ينبغي في مسألة السحر ولعل الناس معذورون في ذلك. فالفراغ ، والشعور بالظلم ، والتشريد الاجتماعي والمستقبل المظلم ...الخ. كل هذه العوامل كفيلة بتوجيه الكبت وتفريغه وعزوه إلى أعمال شيطانية وإن كنا نرى أن شياطين الإنس لهم النصيب الأكبر في السحر الظاهري الذي هو من قبيل اللحن في القول وممارسة أساليب الغش.(٤٦) ولعل واقعية السحر كظاهرة- أدت لخلط مفاهيم المجتمع في التشخيص والعلاج - كان أكبر مصدر لتفجير مسائل الخلاف فيها غموض الآثار والأعراض ، ثم زاد التقدم العلمي المسألة تعقيدا ، حيث أصبح من الصعب إقناع كثير من أفرد الشريحة المتعلمة في المجتمع الإسلامي بظاهرة السحر كعلم له آثار سالبة على المجتمعات البشرية فهو عبارة عن تفسيرات لطبقات اجتماعية متخلفة تجد في هذه الخرافة الساذجة مندوحة تغطي بها تعاستها وتقاعسها عن ركب الحضارة التي ظهرت

بفضل العلم الذي أصبح خاضعا للتجربة والنظرية العلمية المادية ، أما المسائل غير المادية ستبقى مهملة في غابرة التأريخ.

ولعل ما تبقى من دراسة تجيب على بعض الأعراض الناتجة من ظاهرة السحر ، وكيفية استنباط الفهم من الأدلة النصية للبيان النبوي أملاً في وضع تصور إسلامي حديثي يجمع بين مفهوم النص النبوي ، ومفهوم الصحة النفسية لتكون نظرية تكاملية في كل ما يعنى باضطرابات النفس.

المبحث الثالث : إشكالية التشخيص والعلاج لظاهرة السحر في النص النبوي :

في أثناء كتابة هذا المقال عُرِضَ برنامج تلفزيوني مقدم بواسطة القناة الفضائية راديو وتلفزيون العرب بعنوان " **البيوت أسرار** " ، وكان موضوع الحلقة عن " **التوائم** "[٤٧] وكان النقاش المحوري يتمثل في الجدل التقليدي وهو هل للجن الاستطاعة في التأثير على البشر ، وما هو مقدار هذا التأثير ، وتمخض النقاش عن وجهات نظر تقليدية كما هو معايش في التعامل مع هذه الظاهرة – المجتمع المسلم يريد الحل ، وقد تمكن الأمر من التسلط على المعتقدات الشعبية سواء كان وهما أم حقيقة – البعض قال : لا يتعدى تأثير الشيطان مسألة الوسوسة ، بينما يرى البعض أن ضرر السحر الذي يعتبر الشيطان عنصرا جوهريا في إتمامه يتخطى الوسوسة إلى الضرر المباشر. ولكن ما دار في حيثيات البرامج من اضطراب فكري ، وتناول تقليدي لموضوع الدراسة لم يقنع أصحاب الدراسات الاجتماعية والنفسية والمعالجين الروحانيين إن صح التعبير. فالمشكلة حقيقة على أرض الواقع ، والأمر مستفحل. وما زال القائمون على الأمر ينظرون إلى الموضوع نظرة تقليدية أو نظرة غير جادة. فقمع الأفكار ، وعدم تطوير النقاش الجاد المنهج ، إذا لم يكن هو سيد الموقف في هذه المناظرات فستظل المشكلة كل يوم في استفحال أعمق.وما دار في حيثيات البرنامج هو طرح مصغر لقضية اجتماعية كانت فاتحة خير لمناقشة المسألة في هذا الطرح المتواضع.

ولكن دعني بعد هذه التوطئة أن أفصل في بعض الأسباب التي أدت لحساسية الأمر – أعني خصوصا الشريحة المؤثرة في المجتمع فالبعض يرى المعالجة تكمن في تناسي الأمر من غير الخوض في جذور المشكل وطرح الحلول- وهي تضارب الأعراض السحرية مع التقدم العلمي في الدراسات النفسية والباراسايكولوجية كما أسلفت ، حيث أصبح التعرف على الحالة السحرية من الصعوبة بمكان ، وطبيعي أن ينشط وسط

هذا العتم فئة من أصحاب الأهواء والمصالح الذاتية لتحقيق رغباتهم في غياب الوعي عن المجتمع الذي يَعْتَبِرُ هذا الوباء أشبه بطاعون عمواس ، أو أبعد خطرا من فيروس " السارس " الذي اجتاح جنوب شرق أسيا وضرب بإطنابه بلاد العم سام.

بما أن الأعراض السحرية مماثلة في كثير من الأحايين بأعراض الاضطرابات النفسية ، بل إن التطور في الباراسايكولوجي فجر لنا تعقيدا آخر حيث يفسر كثيراً من الحالات الخارقة بأنها راجعة للقوة الداخلية للشخصية التي يحصل على يدها أمور غير طبيعية ، كالتنويم المغنطيسي والتأثير عن بعد ، ولكننا نهتدي ببعض الأدلة النقلية عن النبي ﷺ في استنباطات التشخيص للحالات السحرية.

ونافلة القول إن مسألة التشخيص المنهجي العلمي الشرعي هي وسيلة للوصول إلى المخرج من هذه المعضلة الاجتماعية ، التي هي في الغالب تراكمات لخرافات لا تمت للحقيقة بصلة ، وأيا كانت الاضطرابات من أسباب سحرية ، أم من أسباب وهمية ناتجة عن اضطراب نفسي ، أو بُعْد خيالي لا يخرج من دائرة الوهم ، فالمراحل التشخيصية الدقيقة ذات الحلول الناجعة في معالجة الأمر تكمن في المنهج الرباني فقد قال الله تعالى : { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ } [الإسراء : ٨٢] ، والمنهج النبوي المتمثل في الوقائع الحادثة في التشخيص والعلاج.

وبما أن السحر نوع من الأمراض فهو قد يكون له آثار جسدية أو آثار نفسية ، أو آثار نفسية جسدية وهي الغالبة ، ولعل هذه هي الأعراض الحقيقية من العملية السحرية التي ترجو تحقيقها. ونسبة لاختلاف الأع راض من العملية السحرية فتختلف النتائج من حيث القوة المؤثرة.

وحتى لا يميل البحث في هذا المقطع إلى التنظير نستعرض نماذج نسأل الله تعالى أن تكون مفاتح خير للبحث الجاد في هذه المعضلة الاجتماعية.

تختلف الأعراض باختلاف المقصود فقد تكون الأعراض عبارة عن اضطرابات نفسية تتسبب في اكتئاب وأوهام وإحباط ، تزيد وتنقص هذه الأعراض وفق قوة السحر والساحر ، ووفق موقف المقصود بالسحر فإذا كانت النفوس المسحورة ضعيفة كان الأثر أكبر وهكذا تزداد تلك الأعراض قوة وضعفا. وهو ما يسمى بالأخنة وهو من قبيل السحر الذي فعل بالنبي ﷺ [٤٨] ، وهذا نوع من أنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في ثبوته ، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه

داخلة في شيء من صدقه ، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا.وإنما هذا فيما يجوز طرؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها ، ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلى عنه فيرجع كما كان.

ولعل حكمة الله تعالى في إصابته ﷺ بالسحر ، تشريع للأمة وتدريب للمصابين على الصبر لأمر الله تعالى ، ومن ثم الالتجاء الصادق لله تعالى للخروج من هذا الوباء الفتاك.

وهو يتبين من خلال منهجه ﷺ في الاستشفاء حيث اتبع عدة طرق منها :

- الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر : " **احتجم ﷺ على رأسه بقرن حين طب** "[٤٩] قال أبو عبيد : معنى طب أي سحر.
- الدعاء الصادق لله تعالى كان النبي ﷺ عندما أصيب بالسحر التجأ للدعاء حيث جاء في النص أنه دعا ثم دعا ثم دعا.
- استخراجه وتبطيله : كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك فدل عليه فاستخرجه من بئر فكان في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ.

ولقد حلل الإمام ابن القيم منهج النبي ﷺ في الاستشفاء تحليلا أشار فيه بوضوح للآثار النفسية الناتجة فقال : " **فاعلم أن مادة السحر الذي أصيب به النبي ﷺ انتهت إلى رأسه إلى إحدى قواه التي فيه بحيث كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله وهذا تصرف من الساحر في الطبيعة والمادة الدموية ، بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه ، فغيرت مزاجه عن طبيعته الأصلية ، والسحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال القوى الطبيعية عنها ، وهو سحر التمريجات وهو أشد ما يكون من السحر ولا سيما في الموضع الذي انتهى إليه السحر. واستعمال الحجامة على ذلك المكان الذي تضررت أفعاله بالسحر من أنفع المعالجات إذا استعملت على القانون الذي ينبغي. وفي هذا إشارة لقول أبقراط : " الأشياء التي ينبغي أن تستفرغ يجب أن تستفرغ من المواضع التي هي إليها أميل بالأشياء التي تصلح لاستفراغها ".**

وهنالك طائفة من الناس ترى أن رسول الله ﷺ لما أصيب بهذا الداء وكان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله ظن أن ذلك عن مادة دموية أو غيرها مالت إلى جهة الدماغ وغلبت على البطن المقدم منه فأزالت مزاجه عن الحالة الطبيعية له وكان استعمال الحجامة إذ ذاك من أبلغ الأدوية وأنفع المعالجة فاحتجم وكان ذلك قبل أن يوحى إليه أن ذلك من السحر فلما جاءه الوحي من الله تعالى وأخبره أنه قد سحر عدل إلى العلاج الحقيقي وهو استخراج السحر وإبطاله فسأل الله فدله على مكانه فاستخرجه فقام كأنما نشط من عقال وكان غاية هذا السحر فيه إنما هو في جسده وظاهر جوارحه لا على عقله وقلبه ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه من إتيان النساء بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض[٥٠] والله أعلم.

وبعد هذا العرض والاستنتاج يتدرج البحث بالوقوف على بعض التحليلات العلمية لكيفية التعامل نفسيا مع هذه الظاهرة التي شاءت قدرة الله تعالى فيها أن لا تُحْصَرَ وسائل العلاج فيها في مسألة الاستخراج والتبطيل ، أو مسألة الاستفراغ فحسب. قال الله تعالى : { **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ** } ومن أنفع علاجات السحر : الأدوية الإلهية بل هي أدويته النافعة بالذات فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة ، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها وكلما كانت أقوى وأشد كانت أبلغ في النشرة. وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه. فأيهما غلب الآخر قهره وكان الحكم له. فالقلب إذا كان ممتلئا بالله مغمورا بذكره وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات وِرْدٌ لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه.[٥١]

وعند السحرة أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال وأهل البوادي ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية وبالجملة فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة.

والمسحور هو الذي يعين على نفسه حيث يجعل قلبه متعلقا بشيء كثير الالتفات إليه فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات ، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على

أرواح تلقاها مستعدة لتسليطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة وبفراغها من القوة الإلهية وعدم أخذها للعدة التي تحاربها بها فتجدها فارغة لا عدة معها وفيها ميل إلى ما يناسبها فتتسلط عليها ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره والله أعلم.

والاستشفاء من السحر ومتعلقاته يسمى بالنُّشرة بالضم وهي ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرا أو مسا من الجن.قيل لها ذلك لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء ، والملاحظ أن أصحاب التأليف في هذه المادة غالبا ما يحدون آيات وأدعية يفصلونها تفصيلا في علاج السحر والمس والعين ، وفي غالب الأحيان أن تلك الوصفات ناتجة عن تجارب شخصية وربما لا تمت بصلة لسنن السلف في التعامل مع هذه الأمراض الروحية ، لكن هنالك قاعدة هامة جامعة وهي تستند على مواقف مستخلصة من ثنايا النص النبوي في كيفية التشخيص والعلاج.

ولعل من أهم القواعد المستنبطة من النص النبوي في معالجة هذا المشكل تتلخص في الآتي :

أولا الرضا بقضاء الله وقدره : وفي هذا فائدة عظيمة وهي أول خطوة نحو الشفاء لأن مرحلة قبول تقدير الله تعالى فيها من الهزيمة للشيطان ما لا يعلم عظمها إلا الله تعالى ، وكما فيها إرضاء للرحمن ، لأنه من المعلوم أن الشيطان إذا أفلح في إغلاق باب الرضا أمام المريض يستطيع أن يتحكم في جسده كما يشاء ، فيصبح المريض تائها موسوسا مضطربا يشعر بأنه عنصر غير مرغوب فيه الخ.لذلك كان من أعظم الأبواب ذات الأبعاد التركيزية في الخطاب النبوي باب الإيمان بالقضاء والقدر : " **أعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك** "[٥٢] وما يحوي تحته من أبواب الابتلاء والبلاء ولعل التفريط في هذا الباب يقود للاحتجاج على كافة أقدار الله تعالى في المصائب التي تحل بالعبد ، ومن ثم تقوده للهلاك ، وقد يساعد المجتمع – الذي أصبح بُعْدَ الفهم العقدي الصحيح في تربيته هزيلا – في تعقيد الإشكال ، بل قد يمتد الأمر إلى أكثر من ذلك فيذهب إلى سوء ظن بالله تعالى والعياذ بالله تعالى. ولعل أصحاب الإصابة بهذا الداء العضال يجدون تسلية لقلوبهم ونسيانا لهمومهم في إصابة النبي ﷺ مع الفارق الإيماني بين النبي محمد ﷺ ، وبين غيره من المخلوقين ، ألم يقل ﷺ : " **والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي** "[٥٣] ، كما أنه لا يوجد أحد من أهل هذه الأزمان يقارن إيمانه

بإيمان من حظي بلقاء النبي ﷺ ممن أصيب منهم بهذه الأنواع من الأمراض كسهل بن حنيف[٥٤] وآخرون. ولعل في ذلك تخفيف عظيم وتسلية لأهل الابتلاءت.

وخاتمة القول هدي النبي ﷺ في علاج الصحابية التي أصيبت بالصرع فسألت الشفاء، عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت: أصبر، فقالت "**إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها**"[٥٥] فاختارت الصبر على المرض طاعة لله تعالى، بل أثر فيها الخطاب النبوي فأدى بها أبعد من مرحلة الإيمان، حيث دخلت جانب المكاشفة ووصلت لمرحلة المحسنين فقالت: أسأل الله لي أن لا أتكشف !!ومن المعلوم أنها غير محاسبة في كشف عورتها وهي على تلك الحالة، ولكن عملت بمبدأ إن لم تكن تراه فإنه يراك.

ثانيا: الاعتقاد الجازم بأن الشافي هو الله تعالى: حتى تتهيأ للشخص أسباب الإعانة، لأن السحر إما أن يكون بلاء وإما أن يكون ابتلاء وكلاهما يحتاج للصبر والاستعانة بالله تعالى لكشف هذا الداء - ومما ينافي الصبر على هذا هو محاولة استخراج السحر بمثله أو الذهاب للكهنة لما فيه من المخالفة لأمر الله تعالى - ثم كثرة التضرع والدعاء والنفقة والاستغفار والمواظبة على قيام الليل بقصد الشفاء فإن في هذا منفعة عاجلة للتخلص من هذا المرض.

ثالثا: الأخذ بأسباب السلامة من إيذاء الشيطان: وقد جمعها النبي ﷺ في حديث: "**إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بيتا مغلقا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئا**"[٥٦]، ويتبع ذلك استحباب ذكر اسم الله على كل أمر ذي بال، كذلك المحافظة على اتباع السنن الفعلية في الحياة كالسنن عند دخول الحمام: "**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**"[٥٧]، مع العلم أن النبي ﷺ

معصوم من الشياطين حتى الموكل به بشرط الاستعاذة منه ، مع ذلك تعرض للنبي ﷺ في صلاته وغيرها.

ولعل النبي ﷺ خص الاستعاذة في موضع الخلاء لسببين :

أحدهما : أنه خلاء وللشياطين بقدرة الله تعالى قدرة تسلط في الخلاء أكثر من غيره.

ثانيهما : أنه موضع قذر يتنزه فيه ذكر الله تعالى فيغتنم الشيطان هذه الفرصة. فالاستعاذة هي عصمة من الشيطان بموجبها يخرج من هذا الموضع.

وفي دخول البيت قول : بسم الله عند الدخول ، وعند الأكل ، وعند النوم.وعند المباشرة قال النبي ﷺ : " **ما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله باسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما في ذلك أو قضي ولد لن يضره شيطان أبدا** "(٥٨) فإن قدر بينهما مولود لن يضره الشيطان ، وكذلك مخالفة الشيطان في الأكل والشرب باليمين ، وإغلاق الباب عند النوم ، وقراءة آية الكرسي والأوراد قبل النوم ، ...الخ.

رابعاً الاستشفاء : لقد كان مفهوم الاستشفاء مما يسمى بالأمراض الروحية يطلق عليه الرقية أو النُشرة ، وفي المسألة خلاف يشير إليه ترجيح ابن المسيب لجواز النشرة(٥٩) والنشرة بالضم ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرا أو مسا من الجن قيل لها ذلك لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء ويوافق قول سعيد بن المسيب حديث جابر عند مسلم مرفوعا عن جابر قال ثم نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال : " **ما أرى بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفع** "(٦٠) ويؤيد مشروعية النشرة حديث العين حق في قصة اغتسال العائن ، قال الشعبي لا بأس بالنشرة العربية التي لا تضر إذا وطئت ، والنشرة العربية أن يخرج الإنسان في موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وشماله من كل ثمر يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به. وفي كتب وهب أن تؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر/ فيدقه بين حجرين ثم يضربه في الماء ويقرأ فيه آية الكرسي ، وذوات قل ، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله وهو جيد للرجل إذا حبس من أهله. قال عبد الرزاق وحبس رسول الله ﷺ من عائشة خاصة حتى أنكر بصره.(٦١)

قال ابن القيم : " **من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب إذا كان ممتلئا من الله معمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له قال : وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها** "(٦٢).

ولعل ما يؤكد على قول ابن القيم حديث سحر النبي ﷺ. مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده ، ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب ، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم.

وأيضا في حديث ابن مسعود " **إن التمائم والرقى والتولة من الشرك** "(٦٣) والتولة نوع من السحر تأخذ به المرأة زوجها ، وتحبب إليه نفسها(٦٤) يحتمل أن يقال إن الرقى أخص من التعوذ ، وإلا فالخلاف في الرقى مشهور ، ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى الله ، والالتجاء إليه في كل ما وقع وما سيقع ، قال ابن التين الرقى بالمعوذات ، وغيرها من أسماء الله ...إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى ، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني ، وتلك الرقى المنهي عنها ، التي يستعملها المعزم وغيره ، ممن يدعي تسخير الجن له ، فيأتي بأمور مشتبهة ، مركبة من حق وباطل ، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم وقيل : " **إن الحية لعداوتها للإنسان تصادق الشيطان ، لكونهم أعداء بني آدم فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها ، وكذا اللديغ إذا رقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان لذلك كره من الرقى ما لم تكن بذكر الله وأسمائه وباللغة العربية** "(٦٥).

ولعل البيان النبوي في التحذير من التعامل مع السحرة والدجالين مغزاه الخوف من فتح باب الشرك بالاعتماد فيه على غير الله تعالى ، بل والاعتقاد في الأشخاص.لذلك أبرز وجوه الخطاب النبوي التي عنيت بالتنبيه لخطورة التعامل مع السحرة تمثلت في قوله ﷺ : " **من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة** "(٦٦) وقوله ﷺ : " **من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد** "(٦٧) ولعل ظاهرة انتشار الدجالين والسحرة بطول البلاد الإسلامية وعرضها ينذر بتحويل قلوب

العباد عن الفطرة وتعليق تلك الهموم والآمال بغيره سبحانه وتعالى { **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً** } [الجن : ٦].

ولقد وضع الشرع المبارك كل أسباب الشفاء والاستشفاء حتى لا يترك سبيلا لتأتي الحرام ولعل هذا نهج عام في التشريع الإسلامي ما حرم الله شيئا إلا أوجد له بديلا من الحلال ألا ترى إلى الزنا قد أبدله الله تعالى بالزواج ، وكذلك إتيان الكهنة لحل السحر أبدله الله تعالى بالرقية الشرعية ولله الحمد والمنة بدأ وختما.

الخاتمة :

- يعتبر الغرض الأعظم الذي يُرْجى تحقيقه من السحر هو الوصول إلى اضطراب النفس ، لأن الواقع الملموس لأثر السحر هو إحداث ضرر يخل بأساسيات التكوينات الفطرية فتصبح تلك الفطرة غير قادرة على ممارسة دورها الطبيعي وخير مثال لذلك الأعراض التي ظهرت على بدن النبي ﷺ " **حيث كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله** ". وفي بعضها يخيل إليه أنه أتى نساءه ولم يفعل.لأن السحر أول ما يحدثه في اضطراب النفس الشعور بخلل فطري يؤثر على المقدرات الطبيعية ، ومن ثم الإحباط ، والاكتئاب وأخيراً الوصول لنفس انهزامية وإن كان ذلك غير ممكن في حقه ﷺ لأفضليته وعلو إيمانه.
- إن واقعية السحر وتأثيره من البيان الذي لا يجادل فيه إلا من لم يرزق فهما ثاقبا أو صاحب هوى لأن إثباتات النص والواقع والتجربة دلت على ذلك ، ولعل من روعة الإرادة الإلهية أن تجعل التجربة في خاصية النبي ﷺ.
- ليس كل ظاهرة لاضطراب سلوكي يمكن إرجاعها لأسباب سحرية بل يمكن أن يكون القدر الضئيل بل والضئيل جدا لظاهرة اضطراب السلوك أن تكون ناتجة عن عملية سحرية وذلك لصعوبة إجادة صناعة السحر قال الإمام القرطبي : " **السحر حيل صناعية غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس ، ومادته الوقوف على خواص الأشياء ، والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته ، وأكثره تخييلات بغير حقيقة ، وإيهامات بغير ثبوت فيعظم على من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون : { وجاءوا بسحر عظيم } مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا ثم قال : والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرا**

في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر ، وفي الأبدان بالألم والسقم ، وإنما المنكور أن الجماد ينقلب حيوانا أو عكسه بسحر الساحر ونحو ذلك "[٦٨].

- إن الخرافة المسيطرة على عقلية الغالبية العظمى من المسلمين بفاعلية لسحر مردها لأسباب محددة يمكن أن نلقي عليها شيئاً من الضوء وهي :

* التصديق المجرد بكل الأخبار المتعلقة بالنصوص الشرعية دون النظر إلى مقاصدها ومحترزاتها وضوابطها وتحرير ألفاظها مما أدى إلى خلط الثقافة الإسلامية بموروثات العرف { **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا** } [الفرقان : ٧٣].[٦٩]

* الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع فكلما ما زادت الفوارق الطبقية كلما ترسخت مظاهر السحر وذلك لانتشار ظاهرة الحسد ، وليس عبثا أن ينهانا النبي ﷺ عن التمايز الطبقي حتى وإن أقر الإسلام مبدأ التفوق الطبقي لكن لم يقر مبدأ التمايز فإن للنعمة الإلهية ضوابط لا بد من مراعاتها ولعل البيان النبوي يبسط الشرح في ذلك عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت : يا رسول الله ما حق جاري علي؟ قال : " **إن مرض عدته ، وإن مات شيعته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن أعوز سترته ، وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ، ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها** "[٧٠] لذلك أكثر ما ينتشر السحر ومشتقاته كالعين ، الخ. في القرى والبوادي لأن الغالب على أهل هذه البلاد الفقر والحاجة والفاقة التي تبني في نفوسهم الحقد على كل ذي نعمة.

* الحرمان والكبت والفراغ والإحباط هذه من أكبر مظاهر الدوافع لتنمية السلوك غير الطبيعي.

- حاول البحث التفريق في اضطراب السلوك من حيث الأسباب بين ما يحدثه خلل وظيفي لأعضاء الجسم ، وبين ما يحدثه السحر في اضطراب السلوك. وهذا السر الذي ينطوي في حديث الجارية فالبعض يرى أن ما أصابها من صرع كان ناتجا عن خلل وظيفي عضوي لذلك فإن النبي ﷺ قال لها إن شئت صبرتِ ولك الجنة ،

وهذا بمثابة تأصيل منهجي لدراسات السلوك كما تَبَيَّنَ من خلال المحاور السابقة ولله الحمد بدأً وختماً.

وفي خاتمة المطاف فإن الدعوة إلى نشر الحرية وتحقيق العدالة طاعةً لله تعالى في الرعية ، هي من أكبر العوامل المحاربة لظاهرة السحر كمؤثر في السلوك بل هي منهج استئصال لكثير من أسباب الاضطراب السلوكي المتأثر بمشاكل البيئة.

أهم المراجع :

(١) الأزدي ، معمر بن راشد : الجامع ، تحقيق حبيب الأعظمي (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ).

(٢) ابن منظور الإفريقي ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب (دار صادر ، بيروت).

(٣) البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله : الجامع الصحيح ، تحقيق مصطفى ديب البغا (بيروت ، دار ابن كثير اليمامة ، ١٩٧٨ ، ط٣).

(٤) بدري ، أ.د. مالك بابكر بدري : الاضطرابات النفسية عند الشباب (ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات فيها ، الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام أباد – باكستان ، أبريل١٩٨٦م).

(٥) البستي ، محمد بن حبان أبو حاتم : صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ ، ط٢).

(٦) ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي : الطب النبوي (بيروت ، دار الفكر ١٩٩٤م).

(٧) الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة : سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين (بيروت ، دار إحياء التراث العربي).

(٨) الجوزية ، ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي : ، زاد المعاد في هدي خير العباد (ط٢٦ ، بيروت ، مؤسسة النشر ، ١٩٩٢م).

(٩) ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٩).

(١٠) الدمشقي ، إسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير القرآن العظيم (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠هـ).
(١١) الرفاعي : الصحة النفسية دراسة في سيكولوجية التكيف : ط ٦ ، ١٩٨٦م.
(١٢) السجستاني ، سليمان بن الأشعث : سنن أبو داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الفكر).
(١٣) الشوكاني ، : محمد بن علي : نيل الأوطار (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٣).
(١٤) الطبراني ، سليمان بن أحمد : المعجم الكبير ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي (مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ١٩٨٣ ، ط٢)
(١٥) الطبراني ، سليمان بن أحمد : المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض الله ، عبد المحسن بن إبراهيم (القاهرة ، دار الحرمين ، ١٤١٥هـ).
(١٦) عبد الستار إبراهيم : أسس علم النفس (الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٩٨٧).
(١٧) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب (بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩م)
(١٨) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : تأويل مختلف الحديث ، تحقيق محمد زهري النجار (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٢) ص١٧٩
(١٩) القرطبي ، محمد بن أحمد أبو عبد الله : الجامع لآيات الأحكام ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني (القاهرة ، دار الشعب ، ١٣٧٢ ، ط٣)
(٢٠) القنوجي ، صديق بن حسن : أبجد العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨
(٢١) المقدسي ، عبد الله بن أحمد بن قدامة : المغني (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ ، ط١)
(٢٢) مالك ، أ.د. مالك بابكر بدري : الاضطرابات النفسية عند الشباب (وهو مقال مقدم في مؤتمر تحت عنوان : ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات فيها ، الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام أباد – باكستان ، أبريل١٩٨٦م).
(٢٣) المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد ، الترغيب والترهيب ، تحقيق إبراهيم شمس الدين (ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ).

(٢٤) الموصلي ، سامي أحمد : الباراسايكولوجي ظواهر وتفسيرات (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨).

(٢٥) النسائي ، أحمد بن شعيب : سنن النسائي ، تحقيق : عبد الغفار البنداري ، سيد كسروي (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ ، ط١)

(٢٦) النووي ، يحي بن شرف ، أبو زكريا : صحيح مسلم على النووي شرح (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩ ، ط٢).

(٢٧) النيسابوري ، مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت ، دار إحياء التراث العربي).

(٢٨) أخرجه الحاكم ، محمد بن عبد الله : المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٠).

هوامش البحث :

(١) د. أحمد المجتبى بانقا - أستاذ مساعد - الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا - بريد إلكتروني : ahmedhbf@hotmail.com.

(٢) المشاهد أن ظاهرة السحر ومتعلقات الأمراض الروحية كالعين والمس ، يترتب عليها اضطرابات نفسية يصعب الانفكاك منها بحال : حيث إن الهدف المعني وراء هذه الأمراض هو الوصول للمؤثرات النفسية في المصاب ، ومن ثم تطويع المريض وتوجيهه بحسب الأهدف المطلوبة. لذلك نرى أوجه الشبه في الأعراض بين الاضطرابات النفسية والأمراض السحرية ومتعلقاتها أكثر من أوجه التباين ، مثل الاكتئاب ، وشرود التفكير ، وكثرة النسيان ،..الخ.

(٣) يمكن أن يصاب الشعور بعدد من أشكال الاضطراب وقد يصاب بأشكال الفقد والانحلال. وترتبط هذه وتلك بحالات سوء التكيف التي يمر بها الفرد أو بالحالات المرضية المتطرفة التي يصاب بها بعض الناس ، مثل غيبوبة الصرع ، والنوم المرضي .... الخ. انظر : ، الرفاعي : الصحة النفسية دراسة في سيكولوجية التكيف ، ط ٦ ، ١٩٨٦م) ص ٧٩-٨٠.

(٤) حديث حنظلة : " **نافق حنظلة** " بين أن مجرد النظر لوجه النبي ﷺ أكبر دافع لبعث الاطمئنان في القلب ، وأن مجرد البعد عن وجهه يجعل الصراع يخالج قلب المُفارق. هذا فضلا عن قوله وفعله وتقريره.ولا عجب في ذلك لما يتسم به من جمال الخلق والأخلاق

ﷺ ، وهذا ما يعبر عنه كل من له صلة بالطب النفسي والطب البدني فإن بعث الأمل في المريض أكبر طريق نحو الشفاء ولله الحمد والمنة.

(٥) أصبحت العلاقة بين الطب النفسي والطب الجسدي علاقة زوجية مستحيلة الطلاق ، فقد أثبتت الدراسة العصرية أن الغدد الصماء وما تفرزه من هرمونات لها آثار عظيمة في توجيه السلوك وتنظيم وظائف الأعضاء ، وإن بعض الاضطرابات النفسية ناتجة عن خلل في الإفرازات الهرمونية. فالنقص مثلا في هرمون الغدة الدرقية يصاحبه ضعف عقلي وعته شديدة. انظر : عبد الستار إبراهيم : أسس علم النفس (الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٩٨٧) ص١٦١-١٦٢.

(٦) انظر : مالك ، أ.د. مالك بابكر بدري : الاضطرابات النفسية عند الشباب (ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات فيها ، الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام أباد – باكستان ، أبريل١٩٨٦م).

(٧) أخرجه الحاكم ، محمد بن عبد الله : المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٠) جزء٤ ، ص٤٤١ ، حديث رقم ٨٢٠٥. وأصل الحديث في البخاري بلفظ (ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء).

(٨) قد يتساءل المرء كيف قالوا لموسى " **يا أيها الساحر** " وهم يزعمون أنهم مهتدون ؟ ولعل ذلك يثبت أن السلحر عندهم كان نعتاً محموداً السِّحْرُ كان علماً مرغوباً فيه لذلك قالوا لموسى : " **يا أيها الساحر** " على جهة التعظيم له وخاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر إذا جاء بالمعجزات التي لم يعهدوا مثلها ولم يكن السحر عندهم كفراً ولا كان مما يتعايرون به.

(٩) يعتبر أر سطو هو الأب الفلسفي لعلم النفس ، فهو أول من قدم مناقشات منهجية عن علم النفس وأول من ابتكر مفهوم علم النفس كمفهوم يدرس الروح – انظر : د. عبد الستار إبراهيم – أسس علم النفس.(مرجع سابق) ص٥١.

(١٠) وإضافة للتطور في دراسات النفس كان لنظرية الأبعاد الهندسية للكون أثر آخر في كشف الغموض لآثار المسببات الاضطرابية في السلوك " **أثبتت تلك النظرية أن هنالك ثلاثة أبعاد كونية وهي الطول والعرض والارتفاع ، ثم ما لبث إنش تاين أن أضاف بعدا رابعا وهو البعد الزماني ، ثم إن التطور الحديث أضاف افتراضات أوصلت تلك النظرية إلى ستة عشر بعدا ، وأثبتت أن هذا الكون ليست فيه خطوط مستقيمة وإنما هو عبارة عن دوائر هندسية. وهذا التطور المذهل أدى بدوره إلى**

اكتشاف فراغات فضائية في كافة الأجسام السميكة وغير السميكة وهي في حد ذاتها عالم دونه عالم· ثم أثبت العلم أن هذه الأبعاد هي عبارة عن أقطار غير قابلة للرؤيا وهي مساكن لمخلوقات غير قابلة للرؤيا ولكنها موجودة وهذا ما يفسر سر الكون العجيب في إحداث خوارق غير قابلة للتجربة ومن أولوياتها المسألة السحرية ، التي للجن والشياطين القدح المعلى في إنجاحها وهي مخلوقات من ضمن هذا العالم غير المرئي " بتصرف نقلا عن برنامج العلم والإيمان ، المنقول عبر قناة ART راديو وتلفزيون العرب ، تقديم د. مصطفى محمود ، يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٣/٨/٩م الساعة الثانية عشرة ونصف ليلا بتوقيت ماليزيا.

(١١) لعل أبرز نقطة أثيرت في الموضوع محور الدراسة هي النقض الذي وجه للحديث الذي يثبت تعرض النبي ﷺ للسحر ، وقالوا إن ذلك ينافي العقل حيث أن التسليم بأن النبي ﷺ قد سُحِر يؤدي للتشكيك في الرسالة. ثم قالوا إن الحديث ظني الثبوت لم يثبت بالتواتر فلا يجوز أن تبت به مثل هذه الغيبيات.... ، إلى غير ذلك من العلل التي طعنوا بها الحديث.

(١٢) انقسم الناس في تفسيرات المقدرات الباراسايكولوجية إلى مدرستين الأولى لا تؤمن إلا بالماديات وحاولت إرجاع كل ظاهرة خارقة للعادة إلى تفسير مادي وإن أصبحت عاجزة عن إثبات علمي لكثير من الخوارق. أما المدرسة الثانية فترى أن هنالك عنصرا لا ماديا وراء جميع هذه الظواهر وهو الذي يستطيع أن يخترق كل هذه القوى العلمية ويفسر الغرائب والقدرات الخارقة للباراسايكولوجي وهذا العنصر هو الروح أو الجسم الأثيري بالرغم من أنها لم تستطع أن تعطي تفسيرا علميا مختبريا لهذه الادعاءات – لذلك نشأت في الغرب المدارس الروحية ، وأصبح السؤال المطروح هل الباراسايكولوجي هو علم أم خرافة أم سحر ؟ انظر الموصلي، سامي أحمد : الباراسايكولوجي ظواهر وتفسيرات (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨) كامل الكتاب.

(١٣) أبو عبيد ، الفائق في غريب الحديث ، جزء ١ ، ص٢٨.

(١٤) ابن منظور الإفريقي ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب (دار صادر ، بيروت ، د.ت) جزء ٣ ، ص٤٧٣.

(١٥) البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله : الجامع الصحيح ، تحقيق مصطفى ديب البغا (بيروت ، دار ابن كثير اليمامة ، ١٩٧٨ ، ط٣) باب الخطبة ، جزء٥ ، ص١٩٧٦ ، حديث رقم ١٨٥١.

(١٦) أبو عبيد ، الفائق في غريب الحديث (مصدر سابق) جزء ٢ ، ص٣٥٣ – ابن منظور : لسان العرب (مصدر سابق) جزء ١ ، ص٥٥٥.

(١٧) أخذت كما تؤخّذ الروم الهوامّ بالطلسم وشعب الأول بمعنى الإصلاح وشعب الثاني بمعنى الإفساد أي كره ذلك لأنه نوع من السحر.

(١٨) الفائق في غريب الحديث (مصدر سابق) جزء٣ ، ص٣٠١.

(١٩) لسان العرب (مصدر سابق) جزء ٢ ، جزء٢١.

(٢٠) انظر ابن منظور ، لسان العرب (مصدر سابق) جزء ١٥ ، ص٦٨.– ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : تأويل مختلف الحديث ، تحقيق محمد زهري النجار (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٢) ص١٧٩.

(٢١) لسان العرب (مصدر سابق) جزء١٣ ، ص٥١٦.

(٢٢) وعن ابن أخت زينب امرأة عبد الله عن زينب رضي الله عنها قالت كانت عجوز تدخل علينا ترقي من الحمرة وكان لنا سرير طويل القوائم وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت فدخل يوما فلما سمعت صوته احتجبت منه فجاء فجلس إلى جانبي فمسني فوجد مسَ خيط فقال ما هذا فقلت رقي لي فيه من الحمرة فجذبه فقطعه فرمى به ثم قال لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الرقى والتمائم والتولة شرك قلت فإني خرجت يوما فأبصرني فلان فدمعت عيني التي تليه فإذا رقيتها سكنت دمعتها وإذا تركتها دمعت قال ذلك الشيطان إذا أطعته تركك وإذا عصيته طعن بإصبعه في عينك ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله ﷺ كان خيرا لك وأجدر أن تشفي تنضحي في عينك الماء وتقولي أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما رواه ابن ماجة واللفظ له وأبو داود باختصار عنه إلا أنه قال عن ابن أخي زينب وهو كذا في بعض نسخ ابن ماجة وهو على كلا التقديرين مجهول ورواه الحاكم أخصر منهما وقال صحيح الإسناد قال أبو سليمان الخطابي المنهي عنه من الرقى ما كان بغير لسان العرب فلا يدرى ما هو ولعله قد يدخله سحر أو كفر فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب

متبرك به والله أعلم - الترغيب والترهيب الجزء : ٤ الصفحة : ١٥٨ ، حديث رقم (٥٢٤٥).

(٢٣) لسان العرب (مصدر سابق) جزء ١١ ، ص٨١.

(٢٤) القنوجي ، صديق بن حسن : أبجد العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨) ص ٢ ، جزء٣١٢.

(٢٥) المقدسي ، عبد الله بن أحمد بن قدامة : المغني (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ ، ط١) جزء٩ ، ص٣٤.

(٢٦) أعني ابن حجر العسقلاني ، صلحب كتاب فتح الباري رح صحيح البخاري.

(٢٧) القنوجي ، أبجد العلوم (مصدر سابق) جزء٢ ، ص٣١٨-٣١٩.

(٢٨) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب (بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩م) جزء ١٠ ، ص٢٢٢.

(٢٩) لعل الهدف الأساسي من السحر التأثير النفسي على المريض ، فهنالك أعراض مشتركة بين الأمراض الروحية والنفسية : (كالتنميل والاكتئاب ، والوسوسة ، وكثرة التفكير ، والخوف الزائد ...).

(٣٠) العسقلاني ، : فتح الباري (مصدر سابق)جزء١٠ ، ص٢٢٢.

(٣١) الدمشقي ، إسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير القرآن العظيم (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ) جزء ١ ، ص١٤٧.

(٣٢) البخاري ، الجامع الصحيح (مصدر سابق) باب قول الرجل للشيء ليس بشيء وهو ينوي أنه ليس بحق ، جزء ٥ ، ص٢٢٩٥ ، حديث رقم ٥٨٥٩.

(٣٣) انظر النووي ، يحي بن شرف ، أبو زكريا : صحيح مسلم على النووي شرح (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢) ط٢ ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ،. ج ١٤ ، ص٢٢٣.

(٣٤) طريفة : إن الغالب على الحالات التي تدعي الإصابة بالسحر مخطئة في ادعائها. إنما مصدر هذه التصرفات والأوهام هو نتيجة الفشل والإحباط والشعور باليأس والتعاسة عند عدم التوفيق في أمر من الأمور ، مع الأخذ بالاعتبار فإن بعض الحالات تكون لعمليات سحرية ، ومما يزيد الأمر سوءً كثرة الكذابين والمشعوذين الذين يجدون في فريستهم الفرصة المواتية لأن المريض بهذه الأنواع من الأمراض السحرية ، بل والنفسية يكون موضع استسلام كامل لتشخيص المعالج ، لا سيما المعالج الروحي. فإن

الوسط الاجتماعي لدى المجتمعات الإسلامية اعتقاداته في المعالجين الروحانيين تفوق اعتقاداتهم في أخصائي الطب النفسي أو أخصائي الطب البشري – وهذه ظاهرة يستغلها أصحاب الأهواء، لذلك كان قول العلماء أن الاسترقاء بالرقية الشرعية واجب كفائي، وعلى هذا فإن المجتمع الإسلامي ما زال يقبع في التخلف والتقهقر الذي يجعل الخرافات والأساطير تسيطر على أفكاره وخيالاته، فإننا في أشد الحاجة لعلماء ربانيين يعملون ليل نهار لفحص المجتمعات الإسلامية، وملء الفراغ الروحي والجسدي لدى الأمة الإسلامية فإن عقدة الذنب إن كان للمجتمع الإسلامي شعور بها، يشعر بها جميع أفراد المجتمع، إن الوهم قد استحكم وإن المريض يتمسك بأي شيء يؤدي لشفائه ولو كان في هذا خطر على عبادته واعتقاده فالدور للعلماء الربانيين امتثالا لأمر النبي ﷺ قل: " **من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل** ". وهذا النص كان سبب وروده الرقية الشرعية.

(٣٥) قل ﷺ: " **من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر** ".

(٣٦) قال ابن حزم: ومنه ما يوجد من الطلسمات كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب وهي سرقسطة فإنها لا يدخلها ثعبان قط إلا إن كان بغير إرادته! وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين كالاستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب فيكون ذلك أقوى بزعمهم قال أبو بكر الرازي في الأحكام كان أهل بابل قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم وعملوا أوثانا على أسمائها ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور وهم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام وكانت علومهم أحكام النجوم ومع ذلك فكان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر وينسبونها إلى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم، انظر فتح الباري جزء١٠، ص٢٢٢.

(٣٧) قد يُعْتَرَض على هذا القول بأن النبي ﷺ أصيب بالسحر وهو في قمة الهرم الإيماني. والله أعلم أن ما أصابه من قبيل إثبات الحقائق السحرية ومؤثراتها في المجتمع المسلم. وقد يكون تشريع للعمل بالأسباب الوقائية وشرعية الاستشفاء بالقرآن والدعاء والصبر والتوكل ومن ثم تحقيق هدف توحيدي وهو طريق من طرق الدعوة لله تعالى، فهذا مشاهد فكثير ممن يصاب بهذا المرض تتغير حالاتهم التعبدية للأحسن بعد

الاستشفاء- ، انظر : مالك ، مالك بابكر بدري : الاضطرابات النفسية عند الشباب المسلم (مرجع سابق).

(٣٨) انظر القنوجي : أبجد العلوم (مصدر سابق) جزء٢ ، ص٣٢٠-٣٢١.

(٣٩) البخاري ، الجامع الصحيح : (مصدر سابق) باب هل يستخرج السحر ، جزء ٥ ، ص٢١٧٥ ، حديث رقم ٥٤٣٢.

(٤٠) القنوجي ، أبجد العلوم (مصدر سابق) جزء ٢ ، ص٣٢٢.

(٤١) الشعونة ليست من كلام أهل البادية وهي خفة في اليدين وأخذة كالسحر - انظر القرطبي ، محمد بن أحمد أبو عبد الله : الجامع لآيات الأحكام ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني (القاهرة ، دار الشعب ، ١٣٧٢ ، ط٣) جزء ٢٠ ، ص٤٣.

(٤٢) القرطبي : نفس المصدر جزء٢٠ ، ص٤٣.

(٤٣) انظر العسقلاني ، فتح الباري (مصدر سابق) جزء ١٠ ، ص١٢٥.

(٤٤) العسقلاني ، فتح الباري (مصدر سابق) جزء ١٠ ، ص ٢٢٢.

(٤٥) المصدر السابق ، جزء١٠ ، ص١٢٩.

(٤٦) في برامج تلفزيوني - سيأتي تفصيله لاحقا - عُرِضَ أن التوائم ينقلبون إلى قطط في الليل ، والغريب في الأمر أن هذا اعتقاد مسلم به وواقع وأصبح الناس يتداولونه بينهم. وأغرب ما في الأمر أن تُرَكَّبَ هذه الفكرة لطفل في الرابعة من عمره ولقد أشفقت على هذا المجتمع الفسيح ، بل على العلم الذي أصبح مغيبا عن كشف الحقيقة وإيجاد حلول مقنعة. فالذين كانوا بالحلقة و كل من شاهد هذا البرامج غير مؤهلين بالتحدث في الموضوع من الجانبين على السواء فما معنى المعالج الروحي فلا علم لنا بمرض للروح اللهم إلا اضطراب نفسي. ألم يكن من الأوفق تخصيص برامج تلفزيونية وإيجاد علماء ربانيين بدلاً من عرض علماء موجهين أو بضاعتهم مزجاة ؟ وتمخض هذا البرامج عن زيادة الأمر تعقيدا ويمكن أن أجزم بأن الفائلة الوحيدة في هذا البرامج كلمة قالها أحد الجالسين : " **نحن في انتظار رأي الدين فالناس ينظرون لرجال الدين كما تنظر الطير للحم** " المجتمع مصاب بهذه الظاهرة حقيقة أم خرافة محسوسة أم خيال ليست هذه القضية ، القضية تحتاج لمربيين قدوة يُرْجِعُونَ الناس لفطرتهم السليمة : قراءة القرآن على كل الأحوال أن رسول الله ﷺ قل ثم أن الله عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا إنه قل لي كل ما نحلته عبادي فهو حلال لهم وإني خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما

أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وإن الله عز وجل أمرني أن أحرق قريشا فقلت يا رب إذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة قال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وقد أنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه في المنام واليقظة نغزك وأنفق ينفق عليك وابعث جيشا لقدرة أمثالهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك ثم قال أهل الجنة ثلاثة إمام مقسط ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، ورجل غني عفيف متصدق وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين تبعوا الذين لا يبتغون أهلا ولا مالا ، ورجل إذا أصبح أصبح يخادعك عن أهلك ومالك ، ورجل لا يخفى له طمع وإن دق إلا ذهب به ، والشنظير الفاحش وذكر البخل والكذب. [أخرجه النسائي ، أحمد بن شعيب : سنن النسائي] ، تحقيق : عبد الغفار البنداري ، سيد كسروي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ ، ط١ ، جزء٥ ، ص٢٦ ، حديث رقم (٨٠٧٠).

(٤٧) هنالك خرافة شعبية أصبحت من ضمن ثقافتنا رضينا أم أبينا ، وهي مسألة الأعمال السحرية وما شابهاها كالعين والمس ، ونسبة لأنها في الآونة الأخيرة أصبحت رائجة بصورة تكاد تكون صاحبة الصدارة في الساحة الاجتماعية ، ولكن للأسف التعامل مع هذه الموروثات الاجتماعية أصبحت لا تبارح مكان الجدل بين المقرين والرافضين ، والمجتمع قد أصابته هذه الآفة ، وليعلم كل من له غيرة على المجتمع الإسلامي أن حل هذه القضية يكمن في معرفة الأسباب التي أدت لتمكين هذه الخرافات وهي كثيرة ربما الشعور باليأس والعطالة عن العمل ، والتعاسة ، والقهر ، والتسلط بكل معانيه ،.. وغير ذلك. ثمة شئ آخر وهو أهم ما في الموضوع من حيث المعالجة والحلول نجد أن أصحاب الأهواء من المشعوذين والدجالين والذين يتطلعون لحب الظهور ربما وجدوا ضالتهم بالعبث بأفكار المسلمين وابتزاز أموالهم وعقولهم فالشخص سواء كان حقيقة مصاباً بعملية سحرية ، أو هو من نسيج خياله الموهوم إنه يحتاج لمن يعينه للخروج من هذا المأزق فإن لم يجد أصحاب الدين والعلم للتصدي لهذه الحالة فقطعا سيلجأ إلى ما يؤدي إلى إفساد دينه سيذهب للدجال والمشعوذ وإن كان في مخيلته قول النبي ﷺ : " **من أتى كاهنا و عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ".

(٤٨) عن قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك قال ثم كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال قلت لأنس أو كان يطيقه قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين وقال سعيد عن قتادة إن أنسا حدثهم تسع نسوة. البخاري

، صحيح البخاري (مرجع سابق) باب إذا جامع ثم عاد ، جزء ١ ، ص١٠٤ ، حديث رقم٢٦٥.

(٤٩) أبو عبيد ، الفائق في غريب الحديث (مرجع سابق) جزء٣ ، ص١٧٩.

(٥٠) انظر ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر : الطب النبوي (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٤م) ص١٠٠ ، ابن القيم : زاد المعاد في هدي خير العباد (بيروت ، مؤسسة النور ، ١٩٢م) جزء ٤ ، ص١٢٦.

(٥١) " **تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة** " أخرجه الطبراني ، سليمان بن أحمد : المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض الله ، عبد المحسن بن إبراهيم (القاهرة ، دار الحرمين ، ١٤١٥هـ)ج١٩ ، ص٤١٩.

(٥٢) البستي ، محمد بن حبان أبو حاتم : صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ ، ط٢ ، جزء ٢ ، ص٥٠٦.- السجستاني ، سليمان بن الأشعث : سنن أبو داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، باب في القدر ، جزء٤ ، ص٢٢٥ ، حديث رقم ٤٦٩٩.

(٥٣) النيسابوري ، مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت ، دار إحياء التراث العربي) باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ، جزء ٢ ، ص٧٨١.

(٥٤) البستي ، محمد بن حبان : صحيح ابن حبان (مصدر سابق) جزء ١٣ ، ص ٤٦٩ حديث رقم (٦١٠٥) ، النسائي ، سنن النسائي (مصدر سابق) جزء ٤ ، ص٣٨٠ ، حديث رقم ٧٦١٤ - النيسابوري ، المستدرك (مصدر سابق) جزء٣ ، ص٤٦٥.

(٥٥) البخاري : الجامع الصحيح (مصدر سابق) باب فضل من يصرع من الريح ، جزء ٥ ، ص٢١٤٠ ، حديث رقم٥٣٢٨- وتدعى أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء.

(٥٦) النووي ، صحيح مسلم شرح النووي(مرجع سابق) جزء ١٣ ، ص١٩٠.

(٥٧) أخرجه البخاري ومسلم بمعناه وهو حديث فعلي للنبي ﷺ - البخاري باب الدعاء ثم الخلاء ، جزء ٥ ، ص٢٣٣٠ - مسلم باب ما يقول إذا دخل الخلاء ، جزء١ ، ص٢٣٨- والمراد بالخبث إناث الشياطين ، والخبائث ذكور الشياطين.

(٥٨) البخاري ، الجامع الصحيح (مصدر سابق) باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ، جزء٥ ، ص ١٩٨٢حديث رقم ٤٨٧٠- قيل المراد بأنه لا يصرعه شيطان ، وقيل لا يطعن فيه

الشيطان عند ولادته بخلاف غيره ، ولم يحمل على العموم في جميع الضرر والوسوسة والاغواء انظر مسلم. بشرح النووي، جزء١٠ ، ص٥.

(٥٩) البخاري باب هل يستخرج السحر : أورد الترجمة بالاستفهام إشارة إلى الاختلاف وصدر بما نقله عن سعيد بن المسيب من الجواز إشارة إلى ترجيحه. قال قتادة قلت لسعيد بن المسيب الخ وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن من طريق أبان العطار ، عن قتادة ومثله من طريق هشام الدستوائي ، عن قتادة بلفظ " **يلتمس من يداويه فقال : إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع** " وأخرجه الطبري في التهذيب من طريق يزيد بن زريع ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أنه كان لا يرى بأسا إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يطلق عنه ، فقال : هو صلاح. قال قتادة : وكان الحسن يكره ذلك ، يقول : لا يعلم ذلك إلا ساحر. عن الحسن رفعه : " **النشرة من عمل الشيطان** " ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر. قال بن الجوزي : " **النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر** " وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال لا بأس به ، وهذا هو المعتمد ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله النشرة من عمل الشيطان إشارة إلى أصلها ، ويختلف الحكم بالقصد فمن قصد بها خيرا كان خيرا ، وإلا فهو شر. ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعويذ ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين. انظر العسقلاني ، تقليق التعليق ، تحقيق سعيد القزقي (بيروت ، عمان ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، ط١ ، ١٤٠٥هـ) جزء٥ ، ص٤٩.

(٦٠) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم (مصدر سابق)باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ، جزء٤ ، ص١٧٢٦.

(٦١) الأزدي ، معمر بن راشد : الجامع ، تحقيق حبيب الأعظمي (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ)جزء١١ ، ص١٣.

(٦٢) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي (مصدر سابق) ص١٠١- زاد المعاد (مصدر سابق) جزء٤ ، ص١٢٧.

(٦٣) أبو داود : سنن أبو داود (مصدر سابق) عن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الرقى والتمائم والتولة شرك قالت قلت لم تقول هذا والله لقد كانت عيني تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيني فإذا رقاني سكنت فقال عبد الله إنما ذاك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقاها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان

رسول الله ﷺ يقول أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) باب في تعليق التمائم، جزء ٤، ص٩.

(٦٤) أبو عبيد، الفائق في غريب الحديث (مرجع سابق)جزء١، ص١٥٧.

(٦٥) العسقلاني، فتح الباري (مرجع سابق) جزء، ص١٩٦.

(٦٦) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (مصدر سابق) جزء ٤، ص١٧٥١.

(٦٧) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون(بيروت، دار إحياء التراث العربي) جزء١، ص٢٤٣.

(٦٨) انظر العسقلاني، فتح الباري (مرجع سابق) جزء١٠، ص٢٢٣.

(٦٩) ابن عون قل سألت الشعبي قلت الرجل يرى القوم سجودا ولم يسمع ما سجدوا أيسجد معهم قل فتلا هذه الآية يعني أنه لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر أمر السجود ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة بل يكون على بصيرة من أمره ويقين واضح بين- القرطبي، تفسير آيات الأحكام (مصدر سابق) جزء ٣، ص٣٣٠.

(٧٠) الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي (مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣) ط٢، ج١٩، ص٤١٩.